

قطاع النسيج التقليدي بإقليم بولمان : الزرابي نموذجاً

تعتبر صناعة النسيج التقليدي من أقدم وأعرق الحرف التقليدية بالمغرب، فقد مارسها الأمازيغيون الأوائل قبل احتكاكهم بالحضارة الفينيقية، حينما استقروا في جبال الأطلس والسهول المجاورة حملوا معهم المبادئ الأولية لهذه الصناعة كما أنهم اكتسبوا من الفينقيين مهارات كبيرة في ميدان صباغة الصوف، وقد عرف هذا النشاط تطوراً كبيراً مع الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع الميلادي.

وفي هذا الإطار فقد عرفت منتوجات النسيج التقليدي بإقليم بولمان تنوعاً كبيراً حسب القبائل المكونة للإقليم بحيث نجد زربية مرموشة، زربية تيساف، حنبل كيكو، حنديرية وجلباب أولاد علي إلى غير ذلك في ارتباط مباشر بقبائل مرموشة وآيت يوسي وآيت سغروشن.

وتعتبر الزربية أو السجاد إحدى أهم المكونات الأساسية للمنتوجات التقليدية التي تزخر بها المنطقة بفضل جودتها وقيمتها الجمالية المتميزة بتفرد ألوانها الجذابة وتناسق أشكالها، المنسوجة من خيوط الصوف بأنامل نساء أمازيغيات منذ نعومة أظافرهن.

وتختلف الزربية من منطقة إلى أخرى ومن المدينة عنها في البداية من ناحية الألوان والأشكال والفن الهندسي والرسومات، فالعلامات القبلية التي توجد بها لها دلالات ومعاني خاصة والتي عادة ما كانت تساير إيقاع الحياة اليومية بكل تجلياته للحرفيين وتعكس نظرتهم للبيئة التي يعيشون فيها بمنطقة الأطلس المتوسط الأمر الذي جعلهم يسمون هذه الزربية بالزربية الأمازيغية نظراً لغنى موروثها الثقافي وللحفاظ أيضاً على هويتها وقيمتها التاريخية ورمزيتها الوطنية وكذلك لكونها حرفة تقليدية لها امتيازات ذات أبعاد تراثية وحضارية عريقة جداً.

وفي نفس السياق فصناعة الزربية كانت ولا زالت تحتاج إلى توفر العديد من الأدوات والمواد الأساسية الضرورية لصنعها ولعل أهم هذه المواد نجد الصوف التي تعتبر المادة الرئيسية والتي تنتج في المغرب بكمية كبيرة وخصوصاً بمنطقة الأطلس الكبير والمتوسط لسد حاجيات الحرفيين مع العلم أن أغلب هؤلاء الحرفيين كانوا يحرصون على تربية الأغنام لتوفير مادة الصوف وتنظيفها من الشوائب وغسلها وتنشيفها ثم مشطها وتحويلها إلى خيوط جاهزة للاستعمال في نسج الزربية سواء بلونها الأبيض الخام أو مصبوغة بالألوان الطبيعية والكيماوية لكي تعطينا تحف حقيقية مزركشة وجذابة، ففي السابق كان الحرفيين يعتمدون في صباغة الزرابي على الألوان الطبيعية مثل قشرة شجر التفاح والرمان أو الزعفران إلى غير ذلك، فهذه الصباغات الطبيعية لا تغير خصائص الصوف الذي يحتفظ على لونه الزاهي والبديع ولا يتلف مع مرور السنين، أما فيما يتعلق بالأدوات التي يتم استعمالها لصنع الزربية فنجد المنسج والسدى والنيرة والمدررة والقرشال

إلا أنه من المميزات التي تبرز خصائص الزربية بمنطقة الأطلس المتوسط فهي زرابي خشنة وسميكة بحيث تصنع من خيوط الصوف الغليظة وهي ذات أرضية بيضاء ومزركشة بألوان مختلفة، وهي تختلف أيضا عن الزربية بالأطلس الكبير التي تصنعها قبيلتنا آيت واوزكيت وكلاوة.

في الختام لا بد من التأكيد على أن صناعة النسيج التقليدي بشكل عام والزرابي بشكل خاص بمنطقة الأطلس المتوسط عرفت ازدهارا كبيرا في الماضي لكن في الحاضر تعيش هذه الحرفة العديد من الصعوبات والمعوقات التي تحول دون الرقي بها إلى مستوى أفضل وتتمحور هذه الصعوبات حول المشاكل المرتبطة بالإنتاج والمنتوج، المشاكل المرتبطة بالتسويق والمتمثلة في ضعف مسالك التسويق الوطني والدولي، عدم الاهتمام بإنجاز الدراسات القطاعية لإيجاد حلول للقضايا العالقة.